Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأن اتهام العرب بالكفر، والاحتيال، والسحر، والروغان، والخسة هو اتهام تبريري يأتي من خارج القناعات، ومن خارج النظام المنطقي للأحداث داخل رواية (دون كيشوت)، وهذا الاتهام لا يتناسب في تقوّله وشره وادعائه مع حقيقة وطيبة الرسالة العظيمة التي كرّز لها السيد المسيح عليه السلام، التي سعى سرفانتس إلى رسم بعض جوانبها من خلال شخصية دون كيشوت أو تجسيد بعض طيبتها.

ولا أريد أن أقبس المزيد من الأمثلة التي أراد سرفانتس من خلالها تشويه الشخصية العربية، ونفي الصفة الإنسانية أو الآدمية عن فعلها في الوسط الاجتماعي، وذلك كي لا يقال بأنني تتبعت النافل في الرواية وتركت الجوهري، أو أنني ولدوافع مسبقة لها علاقة بالعروبة والإسلام رأيت ما لم يره الآخرون في عمل ضخم، إيجابياته قادرة على ابتلاع وهضم ما تناثر بين تضاعيفه من هنات، وأغلاط، ومواقف قد لا ترضي بعض الأطراف، ونحن طرف منها، ولكن لم يكن لي بد وأنا أقرأ الرواية وأراجعها من أن أقدم بعضاً من هذه التوصيفات السيئة التي ساقها سرفانتس وألصقها بالعرب والمسلمين لأبين أن الطيبة الإنسانية عند بطله دون كيشوت كانت ناقصة وعرجاء في بعض المواقف أو الأحداث، والأفكار، وأن الاختلاق والتزيد والمبالغة صفات أفسدت صفاء تلك الطيبة فعكّرتها بألوان وأنفاس لا علاقة لها بالحقيقة والواقع، ولا بالماضي وما يستقبل من الأيام على حد سواء.

أقول هذا لأن تلك الصفات لم تمس فرداً عربياً أو مسلماً بعينه لنقول إنها حالات فردى، سوء سلوكها أو قولها معلق برقبتها، وإنما كانت توصيفات عامة تشمل العرب والمسلين جميعاً، وهذا ما يؤخذ على سرفانتس لأنه أبدى عدائية واضحة تجاه العرب من جهة، وهذا ما ضيّع فرصة نادرة لكتاب مهم مثل (دون كيشوت) لكي ينجو من مطب الانحياز والمبالغة والتجديف من جهة ثانية.

وقد لفت انتباهي أن سرفانتس لم يقارب في روايته (دون كيشوت) الشخصية اليهودية لا من قريب ولا من بعيد، وهي شخصية شديدة القرب من الشخصية العربية آنذاك، لأنه من المعروف أن اليهود لم يعرفوا الاطمئنان في أوربا إلا في أثناء العهد العربي، أو زمن حكم العرب لجزء من أوربا، وأن الخروج العربي صاحبه خروج لليهود وانتشار لهم في الشمال الافريقي والشمال الأوروبي، وهذا ما زاد في قناعتي أن سرفانتس أراد التقول على العرب والمسلمين وحدهم على الرغم من مشاركة اليهود للعرب والمسلمين في الكثير